

بر الوالدين (ندوة علمية حضورية) 2024 / 11 / 24

م.م محمد مصطفى محمد

أ.م كفاح عباس محميد

المقدمة:

أولاً: مفهوم البر لغةً واصطلاحاً:

البر لغةً:

الصِّدْقُ والطَّاعَةُ والخَيْرُ والْفَضْلُ، وَبَرٌّ يَبْرُ، إِذَا صَلَحَ. وَبَرٌّ فِي يَمِينِهِ يَبْرُ، إِذَا صَدَّقَهُ وَلَمْ يَخْنَثْ. وَبَرٌّ رَحِمَهُ يَبْرُ، إِذَا وصله. ويقال: فلان يَبْرُ رَبَّهُ ويتَبَرَّره، أي: يطيعه. ورجل بَرٌّ بذِي قرابته، وبارٌّ: من قوم بررة وأبرار، والمصدر: البرُّ، والبرُّ: الصَّادِقُ أو التَّقِيُّ وهو خلاف الفاجر، والبرُّ: ضدُّ العقوق. وَبَرَّرْتُ والدي بالكسر، أَبْرُهُ بَرًّا، وقد بَرَّ والده يَبْرُهُ وَيَبْرُهُ بَرًّا... وهو بَرٌّ به وبارٌّ.. وجمع البرِّ الأبرار، وجمع البرِّ البَرَّةُ.

البرُّ اصطلاحاً:

قال المناوي: ((البرُّ بالكسر أي: التوسُّع في فعل الخير، والفعل المرضي، الذي هو في تركية النَّفس... يقال: بَرَّ العبدُ رَبَّهُ. أي: توسَّع في طاعته... وبرُّ الوالد: التَّوسُّع في الإحسان إليه، وتحري محابته، وتوقِّي مكارهه، والرِّفقُ به، وضدُّه: العقوق. ويستعمل البرُّ في الصِّدْق؛ لكونه بعض الخير المتوسَّع فيه). قال القاضي حسين المهدي: (والبرُّ: هو الصِّلَّة، وإسداء المعروف، والمبالغة في الإحسان).

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

((لا يزيد في العمر إلا البرُّ، ولا يرُدُّ القدر إلا الدُّعاء، وإنَّ الرَّجُلَ لِيُحْرَمَ الرِّزْقَ بَخِيلِيَّةً يَعْمَلُهَا)).

عن النَّوَّاسِ بنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن البرِّ والإثم، فقال:

((البرُّ حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه النَّاسُ)).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

((عليكم بالصِّدْق؛ فإنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إلى البرِّ. وإنَّ البرَّ يَهْدِي إلى الجنَّة. وما يزال الرجل يصدِّق، ويتحرَّى الصِّدْقَ حتى يُكْتَبَ عند الله صِدْقًا. وإيَّاكم والكذب؛ فإنَّ الكذب يَهْدِي إلى الفجور. وإنَّ الفجور يَهْدِي إلى النَّار. وما يزال الرَّجُلُ يَكْذِبُ، ويتحرَّى الكذب حتى يُكْتَبَ عند الله كذابًا)).

ثانياً: شكل البر وصورته

✓ اشكال البر وصوره:

البرُّ لفظٌ تعمُّ جميع أعمال الإحسان، وتشمل كلَّ خصال الخير، وعلى هذا فإن البر له أشكال وصور كثيرة، لكن من أبرز صور البرِّ والإحسان:

✓ البرُّ بالوالدين

قرن الله تعالى برَّ الوالدين بتوحيده، فقال جل جلاله (في سورة الإسراء): ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَلْفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣ وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا ٢٤﴾ [الإسراء: 23-24]

✓ وقال مثنيًا على نبيه عيسى عليه السلام (في سورة مريم):

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَمَنْ يَجْعَلِي جَبَّارًا شَقِيًّا ٣٢﴾ [مريم: 32] وقال عن نبيه يحيى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَمَنْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ١٤﴾ [مريم: 14].

✓ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

((سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: بر الوالدين، قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله))

فجعل رسول الله ﷺ بر الوالدين أفضل من الجهاد في سبيل الله (ويكاد الإنسان لا يفهم والديه حقهما عليه مهما أحسن إليهما، لأنهما كانا يحسنان إليه حينما كان صغيراً وهما يتمنيان له كل خير، ويخشيان عليه من كل سوء، ويسألان الله له السلامة وطول العمر، ويهون عليهما من أجله كل بذلٍ مهما عظم، ويسهران على راحته دون أن يشعرا بأي تضجر من مطالبه، ويجزنان عليه إذا ألمه أي شيء).

✓ إذا ان بر الوالدين هو :

أقصى درجات الإحسان إليهما. فيدخل فيه جميع ما يجب من الرعاية والعناية، وقد أكد الله الأمر بإكرام الوالدين حتى قرن الله سبحانه وتعالى الأمر بالإحسان إليهما بعبادته التي هي توحيده والبراءة عن الشرك اهتماماً به وتعظيماً له. من روائع الدين الإسلامي تمجيده للبر حتى صار يعرف به، فحقاً إن الإسلام دين البر الذي بلغ من شغفه به أن هون على أبنائه كل صعب في سبيل ارتقاء قمته العالية، صارت في رحابه أجسادهم كأنها في علو من الأرض

وقلوبهم معلقة بالسماء وأعظم البر (بر الوالدين) الذي لو استغرق المؤمن عمره كله في تحصيله لكان أفضل من جهاد النفل يتكون هذا اللفظ من شقين فلنأخذ كل شق على حده.

ثالثاً: الأدلة الشرعية على بر الوالدين:

لقد حرص الإسلام على بر الوالدين وقرن طاعتها بطاعة الله، بل وجعل إحسان المرء لوالديه من أعلى درجات الإحسان التي بها الأجر والسداد والتوفيق في الدنيا والآخرة، حتى وإن لم يكونا من المسلمين. قد أكد الإسلام على بر الوالدين والإحسان إليهما في مواضع كثيرة في القرآن والسنة المطهرة.

لقد أولى الإسلام اهتماماً كبيراً ببر الوالدين فجعله أعظم وأفضل الأعمال بعد الصلاة المكتوبة، وفي هذا إشارة ولفتة على عظمتها ودورها الكبير في حياة الفرد، فهما من أنجابه وتكفلاه بالحب والرعاية والتوجيه والإرشاد، وهما من علماه فكانا له خير قدوة ودليل، وهما من رافقاه في مسيرته الصغيرة حتى ولج إلى حياة الكبار رجلاً راشداً له دوره ومكانته وأهميته.

رابعاً: الأدلة القرآنية على بر الوالدين:

في سورة البقرة ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ٨٣﴾ [البقرة: 83]

في سورة الإسراء ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾ [الإسراء: 23]

في سورة النساء ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ٣٦﴾ [النساء: 36]

في سورة لقمان ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ١٤﴾ [لقمان: 14]

في سورة الأحقاف ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَن أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَن أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ١٥﴾ **[الأحقاف: 15]**

في سورة العنكبوت ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٨﴾ **[العنكبوت: 8]**

خامساً: ادلة السنة النبوية عن بر الوالدين:

وقال النبي محمد ﷺ: (من أرضى والديه فقد أرضى الله، ومن أسخط والديه فقد أسخط الله) (حديث مرفوع).
والجنة تحت أقدام الأمهات: جاء رجل إلى النبي يريد الجهاد، فأمره النبي ﷺ أن يرجع ويبر أمه، فأعاد الرجل رغبته في الجهاد، فأمره النبي أن يرجع ويبر أمه. وفي المرة الثالثة، قال له النبي: (ويحك! الزم رجلها فثم الجنة) **[ابن ماجه].**

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد، فقال ﷺ: (أحي والداك؟). قال: نعم. قال النبي: (ففيهما فجاهد) **[مسلم].**

وأقبل رجل على الرسول، فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد؛ أبتغي الأجر من الله، فقال ﷺ: (فهل من والديك أحد حي؟). قال: نعم. بل كلاهما. فقال النبي ﷺ: (فتبتغي الأجر من الله؟). فقال: نعم. قال النبي محمد ﷺ: (فارجع إلى والديك، فأحسن صحبتتهما) **[مسلم].**

وبرُّ الوالدين من أعظم أبواب الخير، وقد جاء ذلك في الحديث الذي سأل فيه عبد الله بن مسعود النبي قائلاً: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: "الصَّلَاةُ عَلَى وَفَّيْهَا". قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: "تُحُّ بُرِّ الْوَالِدَيْنِ". قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: "الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"

سادساً: حقوق الوالدين

إذا كان من الطبيعي أن يشكر الإنسان من يساعده ويقدم له يد المساعدة، فإن الوالدين هما أحق الناس بالشكر والتقدير، لكثرة ما قدما من عطاء وتفاني وحب لأولادهما دون انتظار مقابل، وأعظم سعادتهما أن يشاهدا أبناءهما في أحسن حال وأعظم مكانة. وهذه التضحيات العظيمة التي يقدمها الآباء لا بد أن يقابلها حقوق من الأبناء ومن هذه الحقوق التي وردت في القرآن الكريم:

1- الطاعة لهما وتلبية أوامرهما والإنفاق عليهما عند الحاجة.

2- التواضع لهما ومعاملتهم برفق ولين وتقديمهما في الكلام والمشى احتراماً لهما وإجلالاً لقدرهما.

3- خفض الصوت عند الحديث معها وعدم إزعاجها ان كانا نائمين.

4- استعمال أعذب الكلمات وأجملها عند الحديث معها .

5- إحسان التعامل معها وهما في مرحلة الشيخوخة وعدم إظهار الضيق من طلباتهما ولو كانت كثيرة ومتكررة .

6- الدعاء لهما بالرحمة والغفران وعدم مجادلتها والكذب عليهما.

7- اختصاص الأم بمزيد من البر لحاجتها وضعفها وسهرها وتعبها في الحمل والولادة والرضاعة. والبر يكون بمعنى حسن الصحبة والعشرة وبمعنى الطاعة والصلة

8- شكرهما الذي جاء مقروناً بشكر الله والدعاء لهما لقوله تعالى: في سورة الإسراء ﴿وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا ٢٤﴾ [الإسراء:24]. وأن يؤثرهما على رضا نفسه وزوجته وأولاده.

9- الإحسان إليهما وتقديم أمرهما وطلبهما، ومجاهدة النفس برضاها حتى وإن كانا غير مسلمين لقوله تعالى: في سورة لقمان ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٥﴾ [لقمان:15]

ثامناً: الاحكام الشرعية الخاصة بالوالدين

لا حد على الوالدين في قصاص أو قطع أو قذف. وللأب أن يأخذ من مال ولده إذا احتاج بشرط أن لا يحيف به، ولا يأخذ شيئاً تعلقت به حاجته. ولا يأخذ من مال ولده فيعطيه الولد الآخر [المغني:522/6]، وإذا تعارض حق الأب وحق الأم فحق الأم مقدم لحديث: { أمك ثم أمك ثم أبك } [رواه الشيخان].

والمرأة إذا تزوجت فحق زوجها مقدم على حق والديها.

وقال في المقنع: (وليس للإبن مطالبة أبيه بدين، ولا قيمة متلف، ولا أرش جنابة) قلت: وعلى الوالدين أن لا ينسيا دورهما في إعانة الولد على برهما، وذلك بالرفق به، والإحسان إليه، والتسوية بين الأولاد في المعاملة والعطاء.

مفاتيح الخير:

أنه سبب لدخول الجنة: فعن أبي هريرة عن النبي قال: { رغم أنفه، رغم أنفه، رغم أنفه }، قيل: من يا رسول الله؟ قال: { من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة } [رواه مسلم والترمذي].
كونه من أحب الأعمال إلى الله: عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود قال: سألت النبي أي العمل أحب إلى الله؟ قال: { الصلاة على وقتها } . قلت: ثم أي؟ قال: { بر الوالدين } . قلت: ثم أي؟ قال: { الجهاد في سبيل الله } [متفق عليه].

إن بر الوالدين مقدم على الجهاد في سبيل الله عز وجل: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: (أقبل رجل إلى النبي فقال أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى، فقال: { هل من والدك أحد حي؟ } قال: نعم بل كلاهما. قال: { فتبتغي الأجر من الله تعالى؟ } قال: نعم. قال: { فارجع فأحسن صحبتها } ([متفق عليه] وهذا لفظ مسلم وفي رواية لهما: { جاء رجل فاستأذنه في الجهاد، فقال: أحي والداك؟ قال: نعم. قال: ففيهما فجاهد } .

رضا الرب في رضا الوالدين: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي قال: { رضا الرب في رضا الوالدين، وسخط الرب في سخط الوالدين } [رواه الترمذي وصححه ابن حبان والحاكم].
في البر منجاة من مصائب الدنيا بل هو سبب تفريج الكرب وذهاب الهم والحزن كما ورد في شأن نجاة أصحاب الغار، وكان أحدهم باراً بوالديه يقدمهما على زوجته وأولاده.

تاسعاً: مفاتيح الخير في بر الوالدين

أنه سبب لدخول الجنة: فعن أبي هريرة عن النبي قال: { رغم أنفه، رغم أنفه، رغم أنفه }، قيل: من يا رسول الله؟ قال: { من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة } [رواه مسلم والترمذي].

كونه من أحب الأعمال إلى الله: عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود قال: سألت النبي أي العمل أحب إلى الله؟ قال: { الصلاة على وقتها } . قلت: ثم أي؟ قال: { بر الوالدين } . قلت: ثم أي؟ قال: { الجهاد في سبيل الله } [متفق عليه].

إن بر الوالدين مقدم على الجهاد في سبيل الله عز وجل: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: (أقبل رجل إلى النبي فقال أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى، فقال: { هل من والدك أحد حي؟ } قال: نعم بل كلاهما. قال: { فتبتغي الأجر من الله تعالى؟ } قال: نعم. قال: { فارجع فأحسن صحبتها } ([متفق عليه] وهذا لفظ مسلم وفي رواية لهما: { جاء رجل فاستأذنه في الجهاد، فقال: أحي والداك؟ قال: نعم. قال: ففيهما فجاهد } .

رضا الرب في رضا الوالدين: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي قال: {رضا الرب في رضا الوالدين، وسخط الرب في سخط الوالدين} [رواه الترمذي وصححه ابن حبان والحاكم].

في البر منجاة من مصائب الدنيا بل هو سبب تفريج الكروب وذهاب الهم والحزن كما ورد في شأن نجاة أصحاب الغار، وكان أحدهم باراً بوالديه يقدمهما على زوجته وأولاده.

عاشراً: بر الوالدين بعد موتهما

فالمسلم يبر والديه في حياتهما، ويبرهما بعد موتهما بأن يدعو لهما بالرحمة والمغفرة، وينقذ عهدهما، ويكرم أصدقاءهما. يحكي أن رجلاً من بني سلمة جاء إلى النبي فقال: يا رسول الله، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به من بعد موتهما؟ قال: (نعم). الصلاة عليهما (الدعاء)، والاستغفار لهما، وإيفاء بعهودهما من بعد موتهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما) [ابن ماجه]. وحثَّ الله كلَّ مسلم على الإكثار من الدعاء لوالديه في معظم الأوقات، فقال تعالى: في سورة إبراهيم ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: 41]. في سورة نوح ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: 28]